

الزمان ـ السنة التاسعة ـ العدد 2512 الاربعاء 5 من رمضان 1427 هـ 27 من ايلول (سبتمبر) 2006م

المفكران نوري جعفر وعلي الوردي 2-2

توظيف علم الأجتماع في دراسة الشخصية العراقية

ياسر جاسم قاسم

باحث

وهو هنا يسجل نقطة مهمة للمربين كي ينشأ جيل معافى وسليم وهي أن على المربي ان لايذكر الاطفال بأشخاص بهذا المستوى العالي لأن كل فرد في الواقع مخلوق على طراز خاص به وبذلك هو اي المربي سيجبر الأبن على أن يتبنى طريقة هذا المثل الأعلى الذي جعله له أبوه وبالتالي سيقاسي الأبن الويل كي يستطيع أن يلحق بالشخص المثل وبالتالي سينتهي الى الإخفاق

وبالانتقال الى العالم الدكتور علي الوردي حيث إن النهضة التي ابتدأها المفكرون الأوائل على صعيد الوطن العربي لم تكتمل مسيرتها بشكل كما أراد لها هؤلاء المفكرون بل إن هذه النهضة انتكست في الكثير من الأزمان نتيجة عدم توافر القدرة والعطاء الذي امتاز به مفكرو عصر النهضة الاول لذلك حاول مفكرون جدد ان يواصلوا العطاء وأن يستثمروا طاقات جديدة ويوظفوها توظيفاً نهضوياً بناء وفق أساليب حداثوية معاصرة كان الغرض منها هو توظيف عملي لكلمة النهضة وإخراج الإنسان العربي من بوتقة التقوقع التي سجن فيها نتيجة أساليب الاستبداد والقهر التي مورست ضد الإنسان العربي وكان من هؤلاء الشخوص أصحاب العطاءات المهمة والثرة نهضويين بارزين من العراق واصحاب فكر معطاء ولكن للأسف الشديد نتيجة لعصف السنوات الماضية وسيادة أجواء القهر والاستبداد غيب هؤلاء تغيباً أريد من خلاله ان تطمر شخصياتهم مع ما تحمل من فكر ونهضة نجزم على انها لو وظفت لنهض المجتمع من براثن ما لحق به من جهل وظلم وأذى كبير وكان من بين منظري الحداثة في العراق العالم البارز والمفكر الدكتور المرحوم علي الوردي والذي وظف علم الاجتماع وغيره من العلوم في سبيل رفد حركة النهضة وتخليص المجتمع من الكثير من الاوهام التي عاشها خلال قرون كثيرة إن الدكتور علي الوردي رحمه الله كان يغوص في مناهج الفكر الحي ويطالب بإبرازها للمجتمع بصورة تعبوية نهضوية شاملة ومتخصصة في بعض الإمكانات المهمة إن الدكتور علي الوردي كان يغوص في ماهيات المجتمع ويبرهن على سوء بعض هذه الماهيات ويبرز النشاطات السلبية ويحاول بأسلوبه الهادئ ترك وإزالة هذه العقد المجتمعية وينبغي الإشارة الى نقطة مهمة الا وهي أن الكثير بل أغلب مفكري النهضة كانوا يرتكزون في تنظيراتهم المعرفية على جيل الشباب الواعد لما فيه من قدرة وعطاء كبيرين وكان الدكتور علي الوردي في كتاباته يراهن على جيل الشباب من خلال نقل صور حية من مشاهد مجتمعية كثيرة كان قد رآها في دول العالم كي يستفيد منها الشباب العراقي ويجعلها في حيز التنفيذ وحقا لقد تميزت كتابات الدكتور علي الوردي بالاشارة الى جيل الشباب الواعد كثيراً وذلك لأن بناء الأمة يعتمد بالأساس على هذه الجذوة المشتعلة على الدوام والتي تضيء غالباً إذا وظفت بالاتجاه الصحيح. إن الدكتور علي الوردي عندما كان ينقل جانباً من تجاربه الشخصية وذلك كي يبرز نطاق العمل وحيزه داخل المجتمع فهو ليس كاتباً منظراً فحسب بل هو رجل عمل دؤوب واكبر دليل على ما نقول في كتاب الدكتور علي الوردي خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة يخصص فصلاً كاملاً تحت عنوان الإرادة والنجاح وهو بذلك حسب اعتقادي يبرهن على جيل الشباب لأن هاتين الكلمتين إنما توجهان دائماً للشباب على الرغم من أهمية هذه الكلمات الى الجميع وكان يبرهن بذلك على الجميع فلا يوجد لدى المرحوم علي الوردي اي تفرقة بين كلمة تخص ضعيفا لا ينفع المجتمع او قويا يستفيد منه المجتمع بل ان نظرية المجتمع المتمدن لديه بالاستفادة من كلا الشخصيتين فيقول ما نصه في كتابه خوارق اللاشعور ص123 دار الوراق للنشر لندن (إن المجتمع المتمدن محتاج الى جهود كل فرد ضعيفاً كان او قوياً فكل فرد له مجاله الذي يستطيع ان ينتج فيه شيئاً واختصاصه الذي يبرع فيه) وهو بذلك يطالب المجتمع الا ينتقص من احد لضعفه بل ان المجتمع قادر على تقويم هذا الضعف وتحويله الى قوة وبنفس الوقت توظيف هذا الضعف لخدمة المجتمع بدلاً من عزل الشخص وجعله إنساناً غير مرغوب فيه وبالتالي تنشئة أجيال على هذا المنوال مما يسبب فشل المجتمعات كذلك أسهب الدكتور

علي الوردي في طرق التربية التي ينبغي ان تراعى في مجالات المجتمع كافة كي ينشأ جيل معافى قادر على الموازنة في مشاريع الحياة وإدراكها بشكل صحيح فهو يغوص في عمق معاني التربية ويراها مهمة جداً في حين أن المجتمع يقلل من اهمية هذه المعاني التي سينشأ عليها جيل الشباب الواعد فيذكر قصة لطيفة وهذا هو ديدن الدكتور رحمه الله حيث انه كان يقرب الصور لاذهان ابناء المجتمع من خلال قصص حقيقية وواقعية تستلهم كي تصبح عبرة مهمة فيقول في نفس المصدر السابق (يحكى ان والداً وبخ طفله ذات يوم على تأخره في الدراسة قائلاً له (نابليون عندما كان في مثل سنك نجح الى الصف الخامس بينما انت الآن في الصف الثاني من المدرسة) فاجابه طفله على البديهية (ولكن نابليون يا ابتي عندما كان في مثل سنك اصبح إمبراطورا) وهو هنا يسجل نقطة مهمة للمربين كي ينشأ جيل معافى وسليم وهي أن على المربي ان لا يذكر الاطفال باشخاص بهذا المستوى العالي لأن كل فرد في الواقع مخلوق على طراز خاص به وبذلك هو اي المربي سيجبر الابن على أن يتبع طريقة هذا المثل الاعلى الذي جعله له ابوه وبالتالي سيقاسي الابن الويل كي يستطيع ان يلحق بالشخص المثل وبالتالي سينتهي الى الإخفاق وسينشأ جيل ضعيف غير قادر على ممارسة النهضة في الفكر بشكل صحيح فلقد وظف الدكتور الوردي علم الإجتماع توظيفاً حقيقياً في رسم معالم الصور الحية والبارزة في المجتمع كذلك يحض الدكتور الوردي النشء الجديد أن لا تبقى مخيلتهم ونوازعهم ممتدة بحبال غليظة مع الماضي وبالتالي سيفرض عليهم الماضي تركاته الثقيلة وسيجعل منهم اناسا لا نهضويين بشكل او باخر انه يطالب تخليص الفرد من قيود يفرضها المجتمع عليه وتفرضها الحضارة وتفرضها العقد النفسية التي تنشأ غالباً في ابناء المجتمع نتيجة التربية الخاطئة التي يربى عليها الشباب وهو بذلك يطالب بإعادة قراءة التاريخ قراءة متأنية ولفظ ما جاء به من شخصيات قدسية لا تستحق التقديس وتعرية هذه الشخصيات كي يستطيع الإنسان ان يواكب الحاضر بشكل دقيق ويرسم صور المستقبل الواعد فقد كان الدكتور الوردي يشير الى بعض العصور الإسلامية التي صورها التاريخ لنا تصويراً عظيماً واشاد من الادوار التي وردت فيها فهو مثلاً يصور العهد العباسي ويسميه بالعهد المتفسخ نتيجة الترف والبذل وكيف أن المنافقين والانتهازيين قد وصلوا فيه الى سدة الحكم ومراكز القرار وكان المرحوم



علي الوردي



الوردي يحاول أن يخلص أبناء المجتمع من العقد التي فرضها عليهم تاريخ في أغلب مخاضاته غير صحيح ومشوه تاريخ السلطات الانتهازية التي تراتبت على حكم البلاد العربية والإسلامية وكان اكثر تخصصا فكان ينظر إلى جلاوزة العراق كما يسميهم في اغلب كتبه نظرة استقصائية كما نشأ عليه تاريخ بلادنا العربية فهو كان يرى ان من تناوب على حكم العراق من هؤلاء الجلاوزة لم يعملوا شيئاً نهضوياً لابناء العراق بل انهم كانوا يحتقرون الفلاح والفقير والمسكين على سبيل المثال وهو يقول بذلك (إنهم اي الجلاوزة الحكام قد ورثوا هذه الاعمال وراثة لاشعورية من اسلافهم العثمانيين) وكذلك العثمانيين من اسلافهم وهكذا فكان في ذلك مثالاً للفقراء والمعوزين فلم تمنحه السلطات المتعاقبة ما يستحقه هذا المفكر الفذ من مكانة خاصة له فهو قد قال ما نصه في كتابه خوارق اللاشعور (لقد اتيح لي في بعض ايامي السالفة ان اكون من اولئك الصعاليك الذين لا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً، وقد خبرت انذاك عياناً مبلغ ما يعانيه الفقراء والمساكين على ايدي الجلاوزة في هذا البلد من بلاء) وبذلك يرسم الدكتور الوردي حجم المأساة التي تنتج من طبيعة



نوري جعفر